رحيل

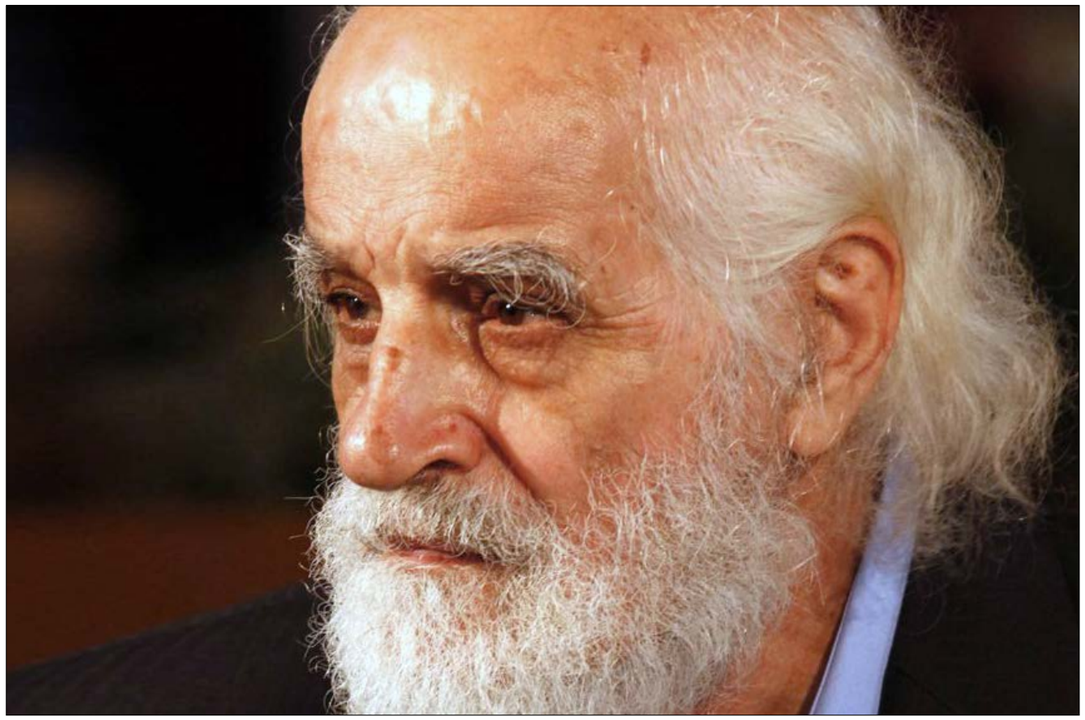

الشاعر الراحل موريس عواد.

الشعر اللبناني يلفّه الحداد

وداعاً موريس عوّاد "مريض الحكي" ومجنون الشعر

في الفترة الاخيرة من حياته كان بعيدا من الاضواء، لكن موريس عوّاد الذي صمت نهائيا قبل اسابيع، كان من اكثر المشاغبين في سجل الشعر العامي اللبناني. يعتبر بين الاكثر غزارة في تاريخ الشعر العامي اللبناني. مع سعيد عقل وميشال طراد وطلال حيدر وغيرهم، اعتبر احد رواد هذا الشعر الذي نقله من مرتبة الزجل الى مستوى الابداع

ربما ظلمت الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية موريس عواد (1934 ـ 2018) كما غيره ممن ولدوا في التوقيت "الخاطىء"، او لعله هو ايضا ساهم في هذا الظلم عبر مواقفه وشخصيته البرية الجامحة المتوحدة. عواد الذي انطفأ الشهر الماضي عن 85 عاما، يكاد يكون الشاعر العامي الاكثر غزارة في تاريخ الشعر اللبناني، مع اصدارات وصلت الى زهاء ستين كتابا بين ديوان وشعر ومسرح ودراسات. مع ذلك، مات فقيرا، هو الذي كان يقول ان الشاعر الحقيقي لا يخشى الفقر، وانه "مريض حكي" وشعر.

في كل الاحوال، موريس عواد دخل تاريخ شعر المحكية اللبنانية بوصفه احد الرواد ورُسل مرحلة جديدة في مسيرته، ناقلا اياه من "الزجل" الى مستوى الابداع الفني المتوهج، مستنطقا "اللغة العامية"، ومبتدعا كالجوهرجي صورا شعرية عالية الحساسية من كلماتها ومفرداتها ومعجمها. مؤرخو مسيرة هذا الشعر يعون جيدا مكانته ودوره في الحالة الشعرية وتطورها ونقلاتها ووثباتها. من الاعمال التي صدرت حديثا عنه كتابان هما: "موريس عواد الشاعر الاسطورة" لربيعة ابي فاضل (2018)، و"الرؤيا ـ زورق الجمال" لجورج الحاج (2018). قبل ذلك، كان المؤرخ والكاتب حمزة عبود قد اصدر انطولوجيا مرجعية بعنوان "ديوان الشعر اللبناني المعاصر"، موضوعا موريس عواد في الموقع الذي يستحقه ضمن حركية الشعر اللبناني المعاصر.

بعد الرعيل الاول من الزجالين والقوّالين امثال اسعد السبعلي وعلي الحاج القماطي وزغلول الدامور وخليل روكز وزين شعيب الذين كانت اعمالهم مقيدة بالارتجال والوزن، وبمفردات طالعة من المعجم الريفي والجبلي (استمر هذا الشعر حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين)، جاءت النقلة النوعية مع سعيد عقل وميشال طراد والاخوين رحباني وموريس عواد وطلال حيدر وايليا ابو شديد... نقل هؤلاء هذا الفن الى مرتبة اسمى واكثر تعقيدا وتركيبا في علاقته باللغة وبالمحيط والتعبير عن الشؤون والشجون اليومية والوجودية.

يعتبر حمزة عبود ان بدايات القصيدة المحكية اللبنانية لا تنفصل عن الارهاصات والتحولات التي كانت القصيدة العربية الفصحى تمر فيها ضمن المشهد الثقافي والفني العام. بالتالي، فان الشعر العامي اللبناني هو ابن شرعي للحداثة العربية لا يقل اهمية عن القصيدة الفصحى، بل انه حمل بهيكله اسئلة عصره وعلاقته باللغة والمحيط والوجود.

لكن لندع الان المناخ الفكري والثقافي والاجتماعي الذي تفتح فيه هذا الشعر، ونعود الى موريس عواد... تلك الشخصية التي كأننا بها طالعة من احد الكتب الخيالية بشعره الابيض، ولحيته الكثة، وجموحه المتطرف، وطبعه "البرّي" النزق والناري الذي اخذه بعيدا عن الناس، متنسكا ومتوحدا بوحشته وخذلانه العميق من العالم... هناك الى كفرغربي حيث ما فتئ هذا الشاعر يولد مرات ومرات.

لنعد الى تلك الطفولة الكادحة والفقيرة، لنعرف اكثر موريس عواد. الطفل الذي ولد في ليلة شتوية عاصفة في بصاليم عام 1934. اكمل دراسته الابتدائية في مدرسة القرية حيث كان جده كاهنا. من الثامنة من العمر حتى الـ14، سيمضي هذه السنوات عند الرهبان اليسوعيين في غزير بين دراسة وعمل لتحصيل لقمة العيش. هناك، اعطاه كاهن حلبي ثلاثة كتب هي "انتيغون" ◄

2019

نقطة على السطر

لنرفع الظلم عن الشعر العامي

رغم ان لبنان عرف منذ الاستقلال، بل قبله، ويعرف في الوقت الحالي، نهضة وزخما على مستوى الشعر العامي، وتقاليد عريقة، وحركة خصبة، واسماء وتجارب غنية متعاقبة منذ عقود... فان كل شيء يوحي بان هذه المدرسة الادبية الفريدة، مهملة في لبنان. مهملة من النخب، ومن المثقفين، ومن وسائل الاعلام، ومن المناهج التربوية. كان هناك معايير منزلة تفرض المراتب والمنازل والطبقات على الشعر، وبحجة ازدراء الثقافة الشعبية، تُقصى القصيدة حين تكون بالمحكية. يُحتفى بها في الاعياد والمهرجانات والمناسبات الرسمية والشعبية، في ساحة القرية او برامج المواهب، لكنها لا تجد طريقها الى "بانتيون" الادب اللبناني. لا تُدرّس في المدارس والجامعات.

كأن هناك "ابن جارية وابن ست" في تاريخ الادب اللبناني. كأنه قيّض لشعر العامية في لبنان ان يبقى مرذولا، ومهملا، وغير معترف به... او صنفا ثانويا لا يرقى الى مستوى الاشكال والقوالب الشعرية المختلفة، في ادبنا، بدءا بالشعر الكلاسيكي العامودي الذي يلتزم قواعد الفراهيدي، الى سائر المدارس: شعر التفعيلة، وقصيدة النثر، وصولا الى الشعر "العادي" و"اليومي"، والشعر "التجريبي" الذي لا نفهم منه شيئا.

صحيح ان الغموض حق في الشعر... لهواة النوع! وما لا يفهمه العقل، تلتقطه الحواس. لكن كل ما نطالب به، ان تجد القصيدة العامية مكانها ضمن هذا الصرح المتنوع والجميل.

ثم من قال ان الشعر العامي، شعر شعبي حصريا، يقتصر على الزجل والقوالب الفولكلورية؟ مع كل الاحترام للثقافة الشعبية، ووعي اهميتها ومكانها في شخصيتنا الوطنية، لكن النقاش هنا له مقاصد اخرى. هل استعمال اللهجات المحكية لابداع القصيدة، عائق امام بلوغها النضج الفني، شكلا وبنية، لغة ومضمونا؟ بالطبع لا! يكفي ان ننظر الى المكانة التي يأخذها الشعر العامي في بلد شقيق كمصر، اعطى اللغة العربية الفصحى بعض اهم معلّميها منذ القرن التاسع عشر. لكن هذا لا يمنع ان للمحكية مكان الصدارة. فقصائد صلاح جاهين وفؤاد حداد (اللبناني الاصل) واحمد فؤاد نجم وعبد الرحمن الابنودي... لكي لا نرجع الى عبدالله النديم وبيرم التونسي... هي اليوم من كلاسيكيات الشعر المصري. تُحفظ وتُدرّس وتُدرّس مثلها مثل قصائد احمد شوقي وامل دنقل وصلاح عبد الصبور.

ماذا عن لبنان؟

شعر سعيد عقل بالعامية يرقى الى الكلاسيكية مثل شعره الفصيح. اما ميشال طراد، فان عفويته وفطريته هما من عناصر الغنى التي ترفد عبقريته اللغوية، لتخصب شعره الغني بالصور والموسيقى والمعاني والتأملات الفكرية تحت راية البساطة. حين نصل الى طلال حيدر نجد انه بثقافته الشعرية والادبية، اخذ القصيدة العامية الى ذروة "الفصاحة". نعم بتنا امام شعر عامي فصيح، ببنيته وتركيبته وايقاعه ومفرداته وصوره ومضامينه. هنا يأتي مكان موريس عواد، الشاعر المشاكس الذي كان قد نساه الناس ولم يتذكروه الا في مناسبة رحيله! قام بتخريب القواعد التقليدية وحطم القيود الايقاعية، وخاض تجربة حداثوية بالمعنى الكامل للكلمة، وانتج شعره الخاص والفريد الذي يجب ان نعيد قراءته ونشره اليوم. طبعا لا يمكن ان نغفل تجربة عصام العبدالله الذي مرت اخيرا ذكرى رحيله الاولى. وحتى الاخوين رحباني في الامكان دراستهما شعريا في معزل عن مدرستهما الموسيقية والغنائية... والقائمة تطول، وصولا الى شعراء عشرينيين يخوضون اليوم بحماسة واعتزاز غمار الشعر العامي. لكن احدا لا يراهم خارج الدوائر الضيقة.

حين نتناول الشعر العامي في لبنان، نجد انفسنا امام تراث شعري مبعثر، ودواوين مفقودة، وتجارب وابداعات متناثرة، غير منتظمة في سياق، لم يواكبها النقد، ولم يهتم بها الباحثون بما فيه الكفاية. ولا نكاد نعرف منها الا ما خلدته الاغنيات التي تبدو وسيلة الحفظ والانتشار الوحيدة. لعل السبب يكمن في تقاعس النقد الذي يمنح الشرعية، وتعالي المثقفين الذين خلقوا وضعية دونية لهذا الشعر، وميّزوه عن الفصحى من دون مبررات ادبية وجمالية مقنعة، ومارسوا نوعا من "الارهاب" الاكاديمي الذي يحشره في خانة "مواطن درجة ثانية"، او مواطن من "جنسية قيد الدرس".

دور النشر المتخصصة في الشعر تتحمّل ايضا قسطا من المسؤولية لعدم تبنيها هذا الشعر، وعدم الترويج له، وتسويقه، بما فيه الكفاية.

سمير مراد

لسوفوكل، و"المجدلية" (1937) لسعيد عقل (1912ـ 2014)، و"جلنار" (1951) لميشال طراد (1912 ـ 1998). هذه الكتب ستقلب وعيه، وتوقظ حواسه وتأخذ بيده الى حدائق الشعر التي سيستوطنها الى غير رجعة. هو الذي قال في احدى المقابلات التلفزيونية انه في عام 1954 "ما كان قدري اتجزوت. كل كل شي فيّي عم ينده للمغامرة، وفلّيت من الدير". الا انه طوال مسيرته، سيظل هذا الصراع بين الروح والجسد محتدما في نفسه. سيبقى موريس عواد راهبا، ناسكا في طبعه وشخصيته وحياته، لكن ايضا عاشقا للمرأة والحب وملذاته، وقد اصدر الكثير من الدواوين عن المرأة والعشق ابرزها "بوسة بوستين تلاتي".

سعيد عقل هو الاله بالنسبة الى عواد، و"العبقري البلا قلب" كما وصفه مرة، بينما ميشال طراد الحساس المرهف هو "الاقرب اليه". في احد اللقاءات مع الشاعر اللبناني حبيب يونس قال له عواد انه قرا ديوان "المجدلية" في ليلة واحدة، معتبرا اياه اعظم ما كتب في العربية. لكن "جلنار" ميشال طراد جعله يشعر بانّ "هيدا الزلمي بيكتب متل ما بيحكي".

منذ ديوانه الاول "اغنار" (1963) الذي صدر عن مجلة "شعر" الطليعية التي كانت لها سطوتها الكبيرة في بيروت ذلك الزمن، سينقل موريس عواد الشعر العامي اللبناني الى مرتبة جديدة، قوامها الصور الشعرية، متخذا من "اللغة اللبنانية" كما وصّفها، وسيلة التعبير الاقرب اليه. مع ذلك، فقد اعترف بأنه تأثّر في هذا العمل بميشال طراد وسعيد عقل، قبل ان يضيق الثوب عليه خلال الطريق، فـ"شلحتو ولبست موريس عواد".

سيرة

- ولد موريس الخوري في 20 شباط 1934 قبل ان يغيّر كنيته لاحقا لتصير عوّاد.
- امضى طفولته في بصاليم، ثم اكمل علومه الابتدائية عند جده، خوري الضيعة.
- عاش في دير اليسوعيين في غزير من سنه الثامنة حتى 14 سنة.
- بين 18 و20 عاما، عاش في دير اليسوعيين في بكفيا ضمن مرحلة تحضيرية للرهبنة. هنا بدأت محاولاته الشعرية الاولى.

1963: ديوانه الاول "اغنار".
1967: كتب حوارات "الليالي اللبنانية" ضمن مهرجانات بعلبك.
1968: كتب حوارات "القلعة" ضمن مهرجانات بعلبك.
1970: "قنديل السفر" الذي نال عنه جائزة سعيد عقل، وترجم الى الايطالية لاحقا.
1972: "بوسة بوستين تلاتي".
1973: "حكي غير شكل". ترجم الى الفرنسية تحت عنوان "اليوم الاخير الملك الاخير".
1974: "اخ".
1976: "رجال بوج الريح".
1984: "انطولوجيا الشعر اللبناني"
1984: "مبارح كنا ولاد".
1986: لبنن "الامير الصغير" لانطوان دو سان اكزوبيري.
1988: "فقش الرمان".
1990: "الوان مش ع بعضا".
1993: صدور سيرته الذاتية "... وكان عمري شبعتش".
1996: "اجت الساعة يا بيّي".
1998: "الموريسيادا" (ملحمة شعرية لبنانية).
1998: "انجيل مَتّا".
1999: "خَلّو النار والعا".
2000: "زهرة النكتار".
2001-2003-2006: لْ انجيل (تلات طبعات)
2012: "فْتافيت حُبّ".
2013: "يا ولاد الستّين دولار".
2015: "حَكّ بْ راس الريشي"

انه شاعر الوطن والمرأة على حد سواء، ظل يكتب حتى في عز الحرب الاهلية. لا شيء يوقفه. باع بيت العائلة في بصاليم واشترى بيتا اخر في جورة البلوط، واسس قرية خيالية سماها كفرغربي حيث واظب على كتابة الشعر معظم وقته. ديوانه الثاني "قنديل السفر" (1970) نال عنه جائزة سعيد عقل الشعرية التي كانت امنية كثيرين من الشعراء، الا ان ذلك لم يكن يكفيه. طرق ابوابا فنية وابداعية اخرى، اولها المسرح وكلها بـ"اللغة اللبنانيي" لانها تعبّر عن وجدانه وتاريخه وحاضره وتعاطيه اليومي الصادق مع الناس. كتب مسرحية "اماريس" التي عرضت على خشبة كازينو لبنان عام 1988، كما شارك في كتابة اغاني مسرحيات لروميو لحود مثل "موال"، و"الشلال" و"القلعة"، الى جانب مساهمته في كتابة حوارات مسرحية "صانع الاحلام" للمعلم الراحل ريمون جبارة. الا انه ايضا قدّم بعضا من اجمل الاغنيات اللبنانية كـ"قلعة كبيرة" و"رجعنا بعد الغيبة" و"شو بدي اعمل" لصباح، واخرى لجوزف عازار ("قالوا انطوى سيف البطل"، "صرتو ع العالي ونسيتو الناس"، "لو انا زهرة"، "عرشك مرمر ما بيتكسّر") وسمير يزبك ("وينك يا خيّال نزال"، "لملم قش اليابس كلو")، وهدى حداد ("بيرقنا ع الجبل"). لعله اول من الّف اغنيات وطنية في مقابل موجة الاغنيات اليسارية في السبعينات، مثل اغنية "يا موسع الساحات"، و"من هاك الملعب ما نسينا"، و"حمرا ومكتوبي بالنار" (الحان الياس الرحباني). ايضا، كان موريس عواد الاول الذي لبنن الانجيل، كما حوّل كتابه المفضل "الامير الصغير" لانطوان دو سان اكزوبيري الى العامية.

الشاعر الذي استوطن اللغة واتخذها دارا وانتماء، كان له ما اراد بحسب وصيته. لفّ تابوته بالعلم اللبناني كما اوصى ولديه، تاركا اعمالا كثيرة ستصدر بعد رحيله، هو الذي رشح قبل عامين لجائزة نوبل للاداب العريقة. رغم مواقفه السياسية التي تثير جدلا وانقساما بين اللبنانيين، الا ان الاكيد ان هذا الشاعر لم يكن فقط "مريض حكي" كما قال مرة. هو مريض بحب وطنه، الذي عشقه بطريقته الخاصة، وظل حتى اللحظة الاخيرة يحلم بوطن يتساوى فيه الجميع تحت سقف القوانين المدنية.

س. م

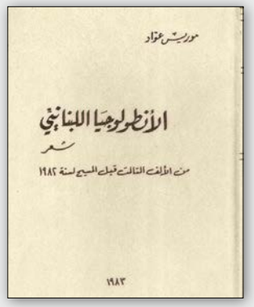

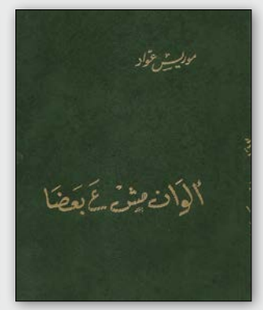

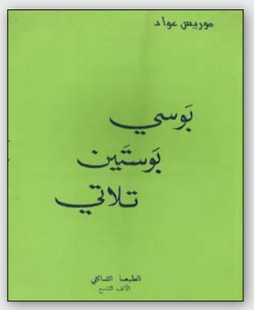

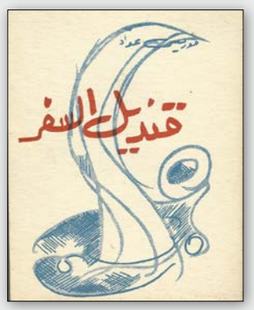

قصائد

لْ بيوت لْ واطيي

لَو كان فييّ إفهَما
لغّة لْ مَوج، وإحلَما
كنت فْهمت كل لِل حَكي
بين الزَوارق والليالي وِل بْحور
بَس فهمت، ليش السَما
نْ تعبِت شي مَرّا بْتتّكي
عَلْ بيوت لْ واطيي مِش عَلْ قصور.

من ديوان "قنديل السفر"، 1970
***

آخر بَوْسي

لا تبوسي بَوساتك كلاّ
خلّيلِك بوسي تِزكار.
يمكن بكرا يغلَط ألله
ويقلِّك: روحي عَ النار.
لا تروحي عَ النار، وْقافي،
وان غَيَّر وِجّو لا تخافي،
زتّيلو غمزي، زتّيلو
دبّوس، وْ لفّي الزنار
عا إصبع إيدِك، ومشيلو
عا ورس اجرَيكي، انْ شفتيلو
عيونو بَدّا ترِشّ بهار
رشّيلو البَوسي عا خدّو
بِترِنّ بقلبو الأوتار
بيوسِّعلك مطرح حدّو
وبيسكّر عَ الأرض سْتار.

من ديوان "بَوْسي بَوستَيْن تلاتي"، 1972
***

قلبِي عا إيدي وطرت متل البرق
شَكل الشرق بوردتي الحمرا
مدَّيت إيدي مْسَحت وج الشرق
رجّعت إيدي كلّها غبرا

من ديوان "قنديل السفر"، 1970
***

سْكتي، سْكتي، سْكتي

لو ما ضيع بهاك الشارع
هاك اليوم، وشوفك صدفي
عَ الشبّاك بهاك الوَقفي،
شَعرك واقع، سرِّك واقع
وجِّك نازل بَدّو يلفي
عم يتمشّا بهاك الشارع.
كنتي الليلي وحدِك نمتي
وتكوّمتي
تحت حرامك،
كنتي حلمتَي إنّي جايي
حَتّا زهِّرلك إيّامك.
كنتي عطَشتي، كَنتي قمتي
بالليل شربتي كبّايي،
كنتي جَعلكتي التكّايي
من قهرِك، كنتي تمتمتي
إسم ، تَنين ، تلاتي ، عَشرا،
وكنتي، كنتي، تخايلتيني
بإيدَيكي تفّاحا حَمرا،
ومتل الملهوفي كْدَشتيني
وعملتيلي صدري ساحا
وإنتي الطفلي العمرا عَشرا،
وقلتيلي، أول تفّاحا
ما بتتاكل إلاّ بقشرا.

من ديوان "بوسي بوستين تلاتي"، 1972
***